مقدمة:

يتوزع الحجاج بين البحث عن الاتفاق، وبين واقع الاختلافات اللانهائية بين الأفراد إن البحث في مفهوم مصطلح الحجاج لن يكون في الواقع إلا قولا واحدا من بين عدد كبير من الأقوال اللامتناهية، والتي مازالت تتكوثر يوما بعد يوم، كما أن البحث في هذا الميدان عمل صعب التنبؤ بنهاياته ومآلاته؛ ذلك لأن التجاذبات المفهومية الدلالية فيه متنوعة تتوزع على حقول معرفية مختلفة، كالمنطق، والفلسفة، والبلاغة، واللسانيات، والأصول، وغيرها؛ ولذلك جاءت المفاهيم مختلفة لاختلاف انبثاقاتهاالإبستمولوجية، وحقولها التجريبية؛ ومع ذلك كله فإن غاية الحجاج واحدة، وهي الاجتهاد في إقناع المتلقي بأطروحة ما.

المحاضرة الثانية: موضوع علم الكلام ومنهجه وعلاقته بمختلف العلوم

موضوع علم الكلام:

لا شك أن تعدد التسميات لعلم الكلام يعكس بصورة واضحة الموضوعات التي يطرقها فهو يبحث في عديد المواضيع المتعلقة بالإيمان وبأصول الدين وهي الألوهية_ النبوة_ الإمامة والمعاد وقد سميت بأصول الدين في مقابل الأحكام القائمة على أساس منها والتي تعرف بفروع الدين، وهذا التقسيم للدين من أصول وفروع قد اخذ من تقسيم الدين إلى معرفة طاعة حيث يعنون بالمعرفة، العقيدة، وبالطاعة، العمل، ولأن كون العمل بطبيعته يقوم على المعرفة سميت المفاهيم وأحكام المعرفة بأصول الدين، ومفاهيم وأحكام الطاعة سميت بفروع الدين.

وبما أن لكل علم موضوع يختص به وما دام علم الكلام يقوم على إثبات العقائد الدينية بالأدلة العقلية . فإن موضوعه يتناول العقيدة الدينية محاولا الدفاع عنها بالدلة العقلية

منهج علم الكلام:

إن تعدد المذاهب الإسلامية بل وحتى اختلافاتها انعكس على تعدد المناهج المتبعة في علم الكلام ويمكن أن نشير إلى البعض منها على النحو التالي:

1- المنهج النقلي: يتمثل في اعتماد النص سواء كان قرآنا أو حديثا نبويا شريفا كما يتمثل في أجماع الأمة والصحابة، ،وإجماع السلف، والخبر المتواتر.

2- المنهج العقلي: يتمثل بالاعتماد على العقل في فهم النصوص وتأويلها وكذا فهو الأحاديث النبوية الشريفة.

3- المنهج التكاملي: الجمع بين العقل والنقل، في فهم النصوص وتأويلها اذ يمكن الأخذ بظاهر النصوص إذا لم يتعارض مع الضرورة العقلية.

4- المنهج الوجداني: وهو الاعتماد على الطرق المؤدية، إلى تصفية الباطن و استكمال الظاهر

5- المنهج العرفاني: يتمثل في الجمع بين النقل والعقل والوجدان فيأخذ من كل طرف في حدود ما يتوصل إليه من مستوى المعرفة المطلوبة.

علاقة علم الكلام بمختلف العلوم:

أولا: علم الكلام والتصوف: التصوف بحث في المتيافيزيقا شأنه شأن الفلسفة،كما أن لجانب الزهد فيه،أدى إلى انتشاره في الوسط الفكري الإسلامي بطريقة معتدلة،فقد أنكر على التصوف الفلسفي أكثر عقائده لمتمثلة في الحلول وغيرها،وبدا يحدد معالمه الخلقية في العالم الإسلامي،وقد اعتبر التصوف الإسلامي السني ثورة على الترف العقلي متمثلا في نظر الصوفية من الفلسفة والكلام،والترف العقلي من جهة الطبقة العليا والأغنياء،وانتقل إلينا تراثا صوفيا خالدا يحوي على موضوعات متناسقة في مبناها،فعرفنا بالمعرفة القلبية وبنظريات الذوق،التي أمدتنا بنظريات جديدة مغايرة ميزت الفكر الإسلامي حضاريا

ثانيا: علم الكلام وعلم أصول الفقه: اعتبر منهج الفقيه مقابلا لمنهج المتكلم والفيلسوف دون منازع، وقد تكلم الصحابة عن الأقيسة العقلية والإجماع والرأي، وكان أن تطور الكلام والحديث فيه أكثر مع المعتزلة والأشاعرة وسائر المذهب الكلامية، وقد كان منهج أصول الفقه منهج للأصوليين، ثم اختلط العلمان فيما بعد أثناء انفتاح العلوم على بعضها البعض وتداخل مناهجها وأقيستها، إلى أن انتهى علم أصول الفقه بنظر فلسفي عميق كون نظرية معرفية خاصة لا تنفصل عن نظيرة المعرفة الكلامية.

ثالثا: علم الكلام والطبيعيات: ارتبط علم الكلام بالأساس بسؤال الخلق المتمثل في هل العالم قديم أم محدث ؟ وعرضت عدة أراء وأجوبة ودار ت نقاشات كثيرة وطرحت إشكالات علمية كبيرة، فتساءل المتكلمين عن أصل العالم وكيفية خلقه، وعن تعدده ومساحته وعن أصل مادته ومنتهاها وأزلية آخريته، رغم أن نظرية العلم كما يراها بعض المؤرخين لم تظهر في المؤلفات المبكرة التي كانت مجرد عرضا لقواعد

الإيمان والعقيدة، وقد سعى العلماء قديما لتطهير الوعي من معوقات العلم فوضعوا مقياسا معروفا وه مطابقة الاعتقاد للواقع بالتالي كان هذا السعي تمهيدا للمنهج التجريبي الذي هو مطابقة العلم للواقع

رابعا: علم الكلام والمنطق: لاشك أن المنطق صناعة يونانية و أرسطية بالتحديد ولقد أثار العديد من المواقف بين الفقهاء والمفكرين المسلمين بين من رفضه وبين من أجازه، يقول ابن خلدون بشان علاقة المنطق بعلم الكلام في مقدمته ما يلي:" والمتأخرون من لدن الغزالي لما أنكروا انعكاس الأدلة ،ولم يلزم عندهم من بطلان الدليل بطلان مدلوله، وصح عندهم رأي أهل المنطق في التركيب العقلي ووجود الماهيات الطبيعية وكلياتها في الخارج، قضوا بأن المنطق غير مناف للعقائد الإيمانية، وإن كان منتفيا لبعض أدلتها"

وتبعا لهذا النص فإن المنطق الفلسفي والمنطق الكلامي كان متعارضان في الكثير من المقدمات والنتائج، نظرا لما بينهما من تنافر، حيث إذا ثبت أحدهما تم نفي الآخر، من حيث النظر على الأسس التي يقوم عليه المنطق، وهدا من أهم الأسباب التي جعلت المتكلمين القدامى بان يرفضوا المنطق بالبدعة والضلالة كون الدليل الذي تم التوصل له هو الذي أبطله لأنه معاكسا للعقل أنداك

غير أنه فيما بعد أصبح للمنطق دورا في الفلسفة والحجاج والجدل وتطورت المناظرات بواسطة بعض مقدماته، وتم إعادة بناء المنطق وحجاجه من منطلق إسلامي يتماشى مع حدود ومساحات العقل آنذاك، لتصبح الصناعة المنطقية في الجدل الكلامي لا تنفصل عن الخصوصية التي فرضها اللفظ العربي ومعطياته الحجاجية التي رصدت البحث في مقومات الاستدلال والحجاج

الفائدة من علم الكلام: تتلخص الفائدة من هذا العلم فيما يلي:

- معرفة أصول الدين معرفة عميقة وأصيلة قائمة على أساس الدليل والبرهان القطعي

- القدرة على إثبات قواعد العقائد بالأدلة والحجج العقلية النافذة

- القدرة على إبطال الشبهات التي تثار في كل مرة وفي كل زمان ومكان على قواعد العقائد